نيبال

مملكة الجبال والجمال

> كتمندو – منير الفيشاوي

من الطبيعي أن يحلم عاشق السياحة والترحال بزيارة الهند والصين، بل وآسيا عموماً حيث عبق التاريخ ومجد الحضارات وتنوع الثقافات وأصالة الشعوب وجمال الطبيعة وشموخ الجبال واعتدال المناخ، وأيضا التقدم التكنولوجي. وقد فعلنا ذلك، والفضل في ذلك يرجع إلى معونة الدكتور رامبهاكتا تاكور، سفير النيبال بالقاهرة، وخضنا بعض الأخطار والمغامرات لكي نشاهد ونصور ونشعر بالمكان وشعبه الطيب، ونصف بالكلمة والصورة رحلتنا السياحية إلى دولة تقع ما بين شمال الهند وجنوب الصين، حباها الله تعالى بطبيعة خلابة ومقومات سياحية مذهلة وجذابة، إنها مملكة الجبال والجمال: نيبال.

امستي كتمندو

هبطت سلم الطائرة وتوجهت سيراً على الأقدام لبضع عشرات من الأمتار كي أبلغ مبنى المطار الصغير، حيث استقبلنا الجميع مرددين كلمة التحية.. "نامستي". حملت حقائبي إلى السيارة التي أقلتني إلى فندق سولتي (كراون بلازا)، سالكة شوارع العاصمة "كتمندو" والتي بدت لي كمدينة صغيرة تحتاج إلى تحديث للكثير من مرافقها الرئيسية كالطرق والمباني والمتاجر وما شابه ذلك. والملاحظ بالعاصمة كتمندو والملقبة بمدينة "الشانغري لا" وتعني "الأرض ذات الجمال العذري" ضيق معظم شوارعها وأزقتها بما يشهد بقدم طراز هذه المدينة، وبالتالي فحركة مرور السيارات بها ثقيلة، مما تسبب في ارتفاع نسبة التلوث البيئي في هواء شوارع العاصمة حيث شاهدت الكثير من المارة وشرطة المرور يرتدون كمامة صحية تغطي الأنف والفم. وتتعدد وسائط النقل في شوارع العاصمة كتمندو ما بين السيارات والباصات والريكشا النيبالية وهي عبارة عن عربة تغطيها مظلة وتتسع لفردين، تتقدمها دراجة هوائية يقودها صاحبها مقابل أجر زهيد، متوسطه ما يعادل الدولار الواحد (حوالي 65 روبية نيبالية)، كما يجوب "التُكتُك" شوارع العاصمة وهو أكبر من الريكشا، وتجره دراجة

قمم جبال الهملايا المكللة بالجليد
Nieve cubriendo las cimas del Himalaya

قمم الهملايا

Cimas del Himalaya

أحد علية القوم يتنقل بشوارع كتمندو على طريقته الخاصة
Personaje de élite desplazándose a su manera

المسجد الجامع النيبالي
Mezquita Nepali

بخارية. أما سيارات الأجرة (التاكسي) فيُنْصح بالتأكيد على سائقها قبل بداية التحرك بتشغيل عداد الأجرة، أو الاتفاق المسبق على قيمة أجرة الإيصال. أما علية القوم هناك فمن الممكن أن تراهم يختالون بأحد شوارع كتمندو على ظهر فيل.

وتنتشر مناطق التسوّق في كتمندو، ولعل أهمها المجمّعات (المولات) المحدودة علاوة على باعة الشوارع وأسواق: التاميل ونيورود ولوغان وكينغ بالاس وبولتشوك. وأهم السلع ذات الطابع السياحي هناك هي الصناعات التقليدية اليدوية، وأهمها التماثيل والأشكال الزخرفية المنحوتة على الأحجار والكتل الخشبية والمعدنية والبرونزية والطينية (التراكوتا) ، علاوة على الرسوم على القماش والورق. ومن أهم السلع التذكارية الرائجة بالأسواق النيبالية الخناجر المعدنية المرسوم عليها بعض الزخارف النيبالية ومعها غطائها)الغمد)، والغالي منها مصنوع غمده من قرون بعض الحيوانات كالغزال والجاموس.

وأروع وأغلى ما يمكن مشاهدته وشراؤه هناك هو الحلي الفضية والذهبية خصوصاً المرصع منها بالماس والأحجار الكريمة وشبه الكريمة، كما تنتشر المتاجر التي تبيع الملابس التقليدية وغير التقليدية. وهناك بعض المتاجر التي تعرض منتوجات رائعة مستوردة من كشمير. أما الشال أو سالبشمينة" المصنوع من صوف الماعز الجبلي فهو من أهم السلع النيبالية الواجب اقتنائها من قبل السيدات.

وبشكل عام، فالمساومة على الأسعار، وبقسوة، هي ضرورة حتمية، فالأسعار تبدو في البداية باهظة، ولكن عند الاتفاق بين البائع والمشتري تجدها مناسبة، بل ورخيصة للغاية.

ومن ناحية أخرى، فأكثر الكائنات الحية احتراماً هناك البقر، فهو مخلوق مقدس لدى الهندوس والبوذيين، حيث شاهدته مراراً يسير مختالاً في شوارع كتمندو، وأحياناً يجلس في الطريق الذي يعج بالسيارات دون أن يزعجه أحد. وقتل البقرة خطأً دون عمد يُعَرِّض الفاعل لغرامة قدرها 20 ألف روبية مع السجن لمدة ثلاث سنوات. أما إذا كان القتل عمداً فالقاتل يومه أسود وسيندم على اليوم الذي ولدته فيه أمه، وحيث لا ينفع الندم.

والتنزه في مدينة كتمندو وشوارعها سواء في الصباح أو المساء هو بحد ذاته ليس مقصداً سياحياً بالمعنى الكامل، اللّهم إلا ارتياد المقاهي والمطاعم وهي في معظمها معتدلة الأسعار، وكذلك بعض المعابد الهندوسية والبوذية القابعة بميادين العاصمة وضواحيها مثل ميدان كتمندو وميدان باتان وبرج سوايامبوناث والذي يعد أضخم برج بوذي في نيبال والمشيد عام 250 قبل الميلاد، وكذلك برج بوداناث البوذي والمشيد في القرن الخامس الميلادي، ومعبد تشانغونارايان المشيد في القرن الخامس عشر الميلادي.

ويستمتع السياح الأجانب بزيارة قرية "بودي" وهي محمية ثقافية مسجّلة لدى اليونسكو، حيث تحافظ هذه القرية على أسلوب الحياة البدائية والذي يعود إلى نحو أربعمائة سنة ماضية، فقد رأيت أهلها يقومون بفصل الحبوب المجففة عن قشها بقذفها عكس إتجاه الريح، فيطير القش وتبقى الحبوب، وفناني النقش على الكتل الخشبية يقومون بعملهم يدوياً، بل وهناك من يستحم بالشارع على مرأى من الجميع، ويمر الطريق إلى قرية "بودي" بمنطقة خضراء رائعة تدعى سبونغاماتي".

مساجد كتمندو

يبلغ عدد المساجد في نيبال حوالي خمسمائة مسجد، يقع معظمها في القرى، وقد ذكر لي الشيخ محمد فاروق أن نسبة المسلمين في نيبال تتراوح ما بين 5 إلى 10 بالمائة، كما أخبرني الداعية الإسلامي محمد عارف الثقافي مسؤول عام المدارس الإسلامية بالمناطق الجبلية في نيبال بأن مدينة سجنكفور" القريبة من مدينة

بوخارا السياحية الشهيرة، تضم المدرسة الحنفية أو ما تسمى بالجامعة الحنفية الغوثية والتي تقوم بتخريج العلماء والدعاة والأئمة.

وقد زرنا أكبر مسجدين بالعاصمة واللذين تفصل بينهما مسافة حوالي مائة متر فقط حيث أدينا صلاة الجمعة في أولهما ويدعى "نيبالي جامع مسجد" وهو مسجد متوسط الحجم وكان ممتلئاً عن آخره، وثانيهما "كشميري جامع مسجد" وهو مجمّع إسلامي ضخم يشمل ضريح الصوفيين اللذين حضرا من كشمير قبل حوالي ستمائة عام وشيداه بالعاصمة النيبالية، وكان بمثابة أول مسجد يبنى هناك تتبعه ملاحق تتكون من طابقين تتسع لمئات من المصلين من الجنسين. كما يضم هذا المجمّع الإسلامي الكبير مدرسة اسمها "مدرسة أحسن البركات" والتي تقوم بمهمة تدريس المواد الدينية وغير الدينية لطلابها وتحفيظ القرآن حسبما أخبرنا الحافظ الشيخ محمد علي منظر، أحد أئمة المسجد. ويضم أيضاً مكتبة متواضعة تحتاج لدعم المسلمين لإثرائها بالكتب والمراجع الإسلامية والمصاحف.

السياحة النيبالية

وقبل مغادرة كتمندو، كان لدينا حرص بالغ على لقاء المسؤولين عن السياحة النيبالية للوقوف على مقومات السياحة النيبالية وإمكاناتها الحالية وآفاقها المستقبلية وخطط وسبل الترويج لها بالأسواق الهامة وفتح أسواق جديدة. وفي حوار مفتوح، بدأ "سوباش نيرولا" الرئيس التنفيذي بالوكالة لمجلس السياحة النيبالية قائلاً: "على الرغم من أن نيبال قد أصبحت مؤخراً دولة علمانية، إلا أن الأديان الرئيسية في نيبال هي: الهندوسية والبوذية والسياحة! قالها ضاحكاً وهو يريد أن يعبّر عن مدى اهتمام الدولة النيبالية بالسياحة. ثم أضاف: "تدار السياحة في نيبال من خلال العديد من المؤسسات، تحت مظلة "وزارة الثقافة والسياحة والطيران المدني" ثم يأتي مجلس السياحة النيبالي بوصفه المؤسسة الأم المشرفة على 15 هيئة تعنى كل واحدة منها بأحد التخصصات في عملية السياحة في البلاد، حيث يقوم بتسهيل مهماتهم والمشاركة معهم في الترويج للمنتوج السياحي في نيبال، مستخدمين كافة الأدوات الترويجية والإعلامية، وكذلك تفعيل الدور الكبير الذي تؤديه بعثاتنا الدبلوماسية في الخارج."

ثم تطرقنا للحديث من جانبنا متسائلين عن مدى اهتمام القائمين على السياحة في نيبال بجذب السائحين العرب عموماً، والأسواق الخليجية خصوصاً إليها. وهنا التقطت ناندني لاهي تاپا مدير عام الترويج والتسويق السياحي بالمجلس طرف الحديث قائلة: "سوق الشرق الأوسط هام جداً بالنسبة لنا لأننا ندرك حجم إنفاق السائح العربي والذي يبلغ أضعاف مثيله من الأوربيين. ولكن المشكلة هنا تكمن في أن معظم العرب من معتادي السفر يريدون الفخامة في الأماكن التي يرتادونها، وهي وإن كانت موجودة لدينا إلا أنها ليست كافية. ولكننا نقول لهم إن هناك ما يعوّض ذلك موقتاً، فخصوصية نيبال وانفرادها في مجالات عدة في السياحة سوف تحقق لهم أقصى قدر من المتعة كسياحة المغامرات والإرث الثقافي الغني والطبيعة الخلابة والجبال الخضراء ذات القمم الثلجية والجو الممتاز الممطر بدرجات متفاوتة على مدار العام، علاوة على فخامة الخدمات الفندقية والسياحية المتميزة، والتي سوف تعوضهم عن فخامة أماكن الإقامة المطلوبة، إلى حين إكمال البنية التحتية المناسبة لهم، والجاري العمل بها على قدم وساق، ونأمل أن يحتقق الجذب السياحي الذي تستحقه نيبال سواء من الشرق الأوسط أو من كافة أنحاء العالم".

وأما وزيرة الخارجية النيبالية "ساهانا برادهان" التي استقبلتنا ومعاونوها استقبالاً حاراً، فقالت في عبارة سياسية وسياحية جامعة:

زلأننا ليس لدينا الكثير من السلع أو الموارد الطبيعية كي نصدّرها، فالحل الوحيد لدينا يكمن في السياحة. ونحن نملك الكثير والرائع من مقوماتها الجاذبة للسياح. ونأمل أن يأتي السياح العرب بكثرة إلى نيبال".

سوق مجاور لميدان باتان
Mercado cerca de la plaza Patan Durbar

بقرة تجلس في أحد شوارع كتمندو في سلام
Vaca tranquilamente sentada en una calle de Katmandú

واختتمنا لقاءنا بوزيرة الخارجية بسؤال عن أجمل موقع سياحي تعشقه في نيبال فأجابت: "بحيرة رارا". وأخذت الوزيرة تصف بحب وولع شديدين هذه البحيرة الجميلة ومنطقتها ثم سألتني: "هل زرتها؟".. فقلت لها: "لا". فقالت: "لابد وأن تزورها". فداعبتها بلهجة ملؤها الهيام قائلاً: سأعدك بذلك، وحين أنظر وأتأمل في البحيرة وروعتها وجمالها، سأتذكرك". فضجت القاعة بالضحك بمن حضر من سياحيين ودبلوماسيين، وفي مقدمتهم الوزيرة.

الجبال والجمال

حين ينطق الإنسان باسم "نيبال" فعليه أن يتذكر كلمتي "الجبال والجمال". فالجمال هو وصف عام لهذا البلد الرائع الذي حباه الله بطبيعة خلابة تحيط به وتتناثر في كافة جوانبه، يكسوها اللون السندسي الأخضر الذي لا تكسره سوى المباني والطرق، أما الجبال ومرتفعاتها الشاهقة فهي عنوان سطح وتضاريس هذه الدولة الصغيرة التي لا تتعدى مساحتها الكلية 147،181 كيلو متراً مربعاً. وهي على الرغم من صغر مساحتها إلا أنها تضم تنوعاً طوبوغرافياً رائعاً تتراوح ارتفاعاته ما بين 60م إلى 8848م، تتميز أقاليمه بتنوع المناخ من جبلي إلى استوائي، وتنمو عليه وخلاله كافة أشكال الحياة النباتية، وتعيش فيه جميع أشكال الحيوانات. وتتخلل تلك التضاريس الجبلية مئات من الأنهار والبحيرات الجليدية والجداول التي تنبع من جبال الهيمالايا الشاهقة الارتفاع والموجود منها في نيبال عشر قمم ضمن أعلى أربعة عشر قمة في العالم وفي مقدمتها قمة اڤرست التي حبا الله بها نيبال، والتي يتسابق الآلاف من البشر على التسلق والصعود إليها بوصفها أعلى قمة في العالم، وقد ضحى الكثيرون بحياتهم من أجل بلوغها. وكان أول المتسلقين النيوزيلندي "إدماند هيلاري" ومرافقه النيبالي تنغن نورغي عام 1953, وآخرهم الشاب المصري المغامر "عمر سمرة"، وهو أول مصري وعربي وأفريقي يحقق هذا المجد في مايو/آيار 2007, والذي من حسن الطالع أن تزامن إنجازه الكبير هذا مع زيارتنا إلى نيبال، حيث التقينا به وحكى لنا كافة التفاصيل المتعلقة بتحقيقه لهذا الإنجاز التاريخي.

ثم غادرنا كتمندو متجهين نحو مدينة "نغاركوت" مروراً بمدينة "بهكتابور" التي تفصلها عن العاصمة عشرة كيلو مترات، فشاهدنا في بهكتابور معبد "نياتابو" والذي يصفه النيباليون بأنه أجمل معبد في نيبال، كما تشتهر مدينة بهكتابور بقصرها الرائع ذو الـ55 نافذة.

مغادرة أم مغامرة؟!

وبمغادرة مدينة "بهكتابور" مررنا برحلة ذات طابع خاص، فالسيارة تمضي على طريق معبَّد على حافة جبل شاهق الارتفاع.. صعوداً ثم صعوداً، تبغي الوصول إلى قمته حيث تتربع عليها مدينة سنغاركوت" التي سافرنا إليها –مثلنا مثل جميع زائريها– مستهدفين مشاهدة مغيب قرص الشمس قرب المساء، ثم بزوغه فجر اليوم التالي وسط سلاسل جبال الهيمالايا.

وأثناء هذا الصعود الرهيب–الممتع والمخيف في آن واحد– في الطريق إلى "نغاركوت"، حبسنا أنفاسنا ونحن نشاهد الكتل السحابية من سطحها العلوي وكأننا مستقلين طائرة، وأحياناً أخرى كانت السيارة تغوص داخل إحدى السحب على نفس الطريق، علاوة على شعورنا في بعض الأحيان بانخفاض الضغط الجوي المؤثر على الآذان والذي يحتاج لمعالجته إلى بلع الريق، والذي كان يابساً من جراء هذه المغامرة الرائعة المحسوبة.

وفور وصولنا إلى هناك، صعدنا إلى فندق "كلوب هيمالايان" ذو الخمس نجوم والمشيد على قمة الجبل بزاوية مختارة بعناية فائقة. ولكن كانت المفاجأة في انتظارنا، فنحن لم نكن من المحظوظين في هذا اليوم حيث كان الجو ملبداً بالغيوم الكثيفة التي لم تساعدنا على مشاهدة غروب قرص الشمس، ولا شروقه صباح اليوم التالي، فاكتفينا بالاسترخاء في هذا الفندق الرائع واجترار ذكريات الطريق الجبلي الصاعد إلى نغاركوت، وأكد لنا الجميع أن هذا المشهد المهيب لغياب وبزوغ قرص الشمس سوف تعوضنا عنه زيارتنا المرتقبة إلى مدينة "بوخارا" التي سوف ننشر عنها تحقيقاً موسعاً في عدد قادم بإذن الله...نامستي. ■

عمر سمرا Omar Samra

ساهان برادهان وزيرة الخارجية مع مندوب المجلة

Mrs. Sahana Pradhan, Ministra de Asuntos Exteriores, con el representante de la revista